Journal of Alasmarya University
Volume 18, June 2013

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الثامن عشر، يونيو 2013

اعتراضات الزجاج النحوية على الفراء في معاني الحروف في كتابه معاني القرآن وإعرابه

د. فتحي حسن علي خطاب*

يتناول هذا البحث اعتراضات الزجاج النحوية على الفراء –في معاني الحروف– في كتابه معاني القرآن وإعرابه، وهما علمان من أعلام النحو، فالفراء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الدليمي الكوفي، مولى بني أسد المعروف بالفراء. قيل أنه لُقب بالفراء لأنه كان يفري الكلام فريا، وقيل لأنه كان يقطع الخصوم بالمسائل التي كان يعنت بها[1].

ولد الفراء سنة أربع وأربعين ومائة هجرية بالكوفة في عهد أبي جعفر المنصور، ونشأ بها وقد أخذ عن الكسائي[2]، وقيل إنه أخذ عن يونس بن حبيب البصري، وإنه كان يلازم كتاب سيبويه[3]. وقد بلغ مكانة سامية في العلم حتى قيل:

* كلية الآداب، جامعة سبها.

1- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، مطبعة الخانجي، 1931، القاهرة، 152/14.

2- هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي بالولاء، الكوفي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة حبيب الزيات. أحد القراء السبعة، رئيس مدرسة الكوفة النحوية، توفي سنة 189هـ. ينظر وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (د. ط) 1984، القاهرة، 457/2.

3- شذرات الذهب أ ابن العماد الحنبلي، ط القاهرة، 1950، 321/1.

« الفراء أمير المؤمنين في النحو »[4].

وقد اختلف في سنة وفاته، حيث قيل إنه توفي في طريق عودته من مكة سنة سبع ومائتين هجرية وقيل سنة تسع ومائتين هجرية[5]. وللفراء مؤلفات كثيرة أثرى بها المكتبة العربية والإسلامية منها كتاب معاني القرآن.

والزجاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، غلب عليه اسم الزجاج[6]، اتصل بمجلس تعلب وظل يستفيد منه حتى وفد على المبرد فنهل منه العلم الكثير وقد صارت إليه زعامة البصريين بعد وفاة شيخه المبرد[7]، ومهما يكن من أمر فهو نحوي كبير، وله تلاميذه ومدرسة كما له أثره في ثقافة عصره

ولد الزجاج سنة إحدى وأربعين ومائتين وكانت وفاته سنة إحدى عشرة وثلاثمائة[8]، وله مؤلفات كثيرة منها كتاب معاني القران وإعرابه.

الاعتراض في اللغة هو المنع وعدم الاستقامة، اعترض الشيء: صار عارضا كالخشبة المعترضة في النهر يقال اعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه، قال الجوهري « واعترض الفرس في رَسَنِه لم يستقم لقائده »[9].

وقال ابن منظور: « وعَرَض الشيء يعرضُ واعترض: انتصب ومنع وصار

4- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 152/14.

5- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، تحقيق برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2 1982 540/1.

6- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق أحمد مزيد رفاعي 1936القاهرة 139/1.

7- أنباه الرواة على أنباء النحاة، القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، 1973، القاهرة 159/1- 160.

8- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 118/19

9- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار دار العلم للملايين بيروت ط4، 1984، 1084/3. وينظر المحيط في اللغة، ابن عبَّاد، تحقيق الشيخ محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1994. 307/1. ومقاييس اللغة أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الجيل، (د. ط) بيروت، 1999، 272/4. وتاج العروس، من جواهر القاموس، الزبيدي دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر بيروت، (د. ط)، 1994، 88/10.

عارضا كالخشبة المنتصبة في النهر والطريق ونحوها تمنع السالكين سلوكها ويقال: اعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه ... واعترض الفرس في رسنه وتعرّض: لم يستقم لقائده»[10].

ويمكن صوغ تعريف اصطلاحي للاعتراض، فيقال: هو ردّ الحكم النحوي أو وصفه بعدم الاستقامة لحجة نحوية. وهذا المفهوم ينطبق على اعتراضات الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه على الفراء في كتابه معاني القرآن، ومن هذه الاعتراضات:

زيادة الواو

الواو حرف من حروف المعاني، وأحد أحرف العلة الثلاثة، ويُسَمَّى حرف مدّ، إن سُكِّنَ وضُمَّ ما قبله، وحرف لين إن سُكِّنَ وانفتح ما قبله.

ذهب الكوفيون والأخفش، وتبعهم ابن مالك إلى أن الواو قد تكون زائدة[11]، وأنشد الكوفيون على ذلك قول الشاعر:

حتَّى إذا قَمِلَتْ بُطُونُكُمُ ... ورَأَيتُمُ أولادَكُم شَبّوا
وَقَلَبْتُمُ ظَهْرَ المِجَنِّ لَنَا ... إنَّ اللَّئيمَ الفاجرَ الخَبُّ[12]

يقول الفراء في ذلك «فجعل جواب (حتى إذا) بالواو، وكان ينبغي ألا يكون فيه واو، فاجتزىء بالإتباع ولا خبر بعد ذلك. وهذا أشد مما وصفت لك»[13]. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: 48].

10- لسان العرب، ابن منظور، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد بد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1997، 4/302 - 304.

11- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط1 1973 ط2 1983، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص164-165.

12- ديوان الأسود بن يعفر، ص19.

13- معاني القرآن، الفراء، تقديم: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002 1/79، 168، 361.

يقول الزجاج: « جاء عن ابن عباس أنه يرى حذف الواو، وقال بعض النحويين معناه ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضِياء، وعند البصريين أن الواو لا تُزاد ولا تأتي إلا بمعنى العطف وتفسير الفرقان والتوراة التي فيها الفرق بين الحلال والحرام، ﴿وَضِيَآءً﴾ ههنا مثل قوله: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 46]، ويجوز وذكرى للمتقين »[14].

وقال الفراء: « هو من صفة الفرقان ومعناه، والله أعلم، آتيتا موسى وهارون الفرقان ضياء وذكرى فدخلت الواو كما قال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِزِينَةٍ ٱلكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفظًا﴾ [الصافات: 6-7]. جعلنا ذلك وكذلك ﴿وَضِيَآءً وَذِكرًا﴾ [الأنبياء: 48] آتينا ذلك »[15].

وقال العكبري: « قوله تعالى: ﴿وَضِيَآءً﴾: قيل: دخلت الواو على الصفة، كما تقول: مررتَ بزيد الكريم والعالم، فعلى هذا يكون حالا؛ أي الفرقان مضيئا »[16].

وقيل: هي عاطفة؛ أي آتيناه ثلاثة أشياء: الفرقان، والضياء، والذكر[17].

ومجيء الواو زائدة من المسائل الخلافية بين البصريين الكوفيين، فذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة، وأما البصريون فذهبوا إلى عدم جواز ذلك، وقد عُدَّ الأخفش والمبرد وابن برهان من القائلين بجواز مجيء الواو زائدة[18].

ونسبة زيادة الواو للمبرد غير صحيحة، والدليل على ذلك قوله: « وهو أبعد

14- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب بيروت، 1988، 3/394-395.

15- معاني القرآن، الفراء، 2/117.

16- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت لبنان، 1987، 2/919.

17- المصدر نفسه، 2/919.

18- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري ط4، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1961، 2/456.

الأقاويل. أعني زيادة الواو»[19]. وقوله: «وزيادة الواو غير جائزة عند البصريين»[20].

وقد ورد زيادة الواو عند الفراء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الصافات: 103-104]. حيث يقول: «والعرب تدخل الواو في جواب فلمَّا (وحتى إذا) وتلقيها. فمن ذلك قول الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: 71]. وفي موضع آخر: ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ [الزمر: 73]، وكلّ صواب وفي قراءة عبد الله: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ [يوسف: 70]. وفي قراءتنا بغير واو»[21].

فقد حصر الفراء زيادة الواو في موضعين وهما وقوعها بعد (حتى إذا) أو (فلما أن). ومع ذلك فهو يتناقض مع نفسه حينما قال بزيادة الواو في غير هذين الموضعين منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: 48].

مجيء (أو) بمعنى (بل) و(الواو)

يرى الزجاج أن (أو) لا تأتي بمعنى (بل)؛ لأنها تأتي لإفراد الشيئين أو الأشياء. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: 147]. فهو يقول: «قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة وقال غيرهما معناه أو يزيدون في تقديركم أنتم إذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة وهذا على أصل (أو)، وقال قوم: معناها معنى الواو و(أو) لا تكون بمعنى؛ لأن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشيئين قبل الآخر و(أو) معناها إفراد أحد شيئين أو أشياء»[22].

19- المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ط. ت) 80/2.

20- المصدر نفسه، 81/2.

21- معاني القرآن، الفراء، 273/2.

22- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 314/4

ويرى الفراء أن (أو) تأتي بمعنى (بل) حيث قال في ذلك: «أو هاهنا في معنى بل. كذلك في التفسير مع صحته في العربية»[23].

فقد جاءت (أو) عند الزجاج في هذه الآية للإبهام، وقد تأتي للإباحة، فهو يرفض مجيء (أو) بمعنى (بل) الصحيح أن مجيء (أو) بمعنى (بل) قال به كثير من النحويين كسيبويه لكنه اشترط أن يتقدم الجملة نفي أو نهي، وإعادة العامل[24]. ومجيء (أو) بمعنى (بل) قال به أبو علي الفارسي[25] وابن برهان[26]، وابن هشام[27] وابن جني حيث قال في قراءة أبي السَّمَّال ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ [البقرة: 100][28] (أو) هنا بمعنى (بل)[29].

ونقل الطبري في تفسيره عن ابن عباس رواية يقول فيها: إن معنى قوله: (أو يزيدون) بل يزيدون[30].

ويتضح مما سبق أن مجيء (أو) بمعنى (بل) جائز في العربية وصحيح في التفسير كما ذكر الفراء. أما مجيء (أو) بمعنى (بل) والواو ففيه خلاف بين البصريين والكوفيين، حيث ذهب البصريون إلى أن (أو) لا تأتي بمعنى (بل) ولا بمعنى الواو مطلقا؛ لأن الأصل في أو أن تكون لأحد الشيئين على الإبهام بخلاف (الواو) و(بل)؛ لأن الواو معناها الجمع بين شيئين، وبل معناها الإضراب، لذلك لا يجوز أن تأتي (أو) بمعنى (الواو) أو بمعنى (بل). وذهب الكوفيين إلى أن (أو)

23- معاني القرآن، الفراء، 275/2.
24- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، (د. ت)، 188/3.
25- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص229.
26- المصدر نفسه، ص229.
27- أبو السَّمَّال هو: هو قعنب بن أبي قعنب أبو السَّمَّال، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة. ينظر غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، 2613/2.
28- مغني اللبيب، ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط6، دار الفكر، بيروت، 1985 ص91
29- المحتسب، ابن جني، تحقيق: علي النجدي وآخرين، لجنة إحياء كتب السنة، 1994، 59/1 وينظر الجنى الداني، المرادي، ص229.
30- تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، ط3، (د. ت)، بيروت، 104/2.

تأتي بمعنى (بل)، والواو مطلقا[31].

وهو ما ذكره ابن الأنباري، وأرى أن الأنباري جانبه الصواب، لأن مجيء (أو) بمعنى (بل) قال به أكثر البصريين، كما هو رأي الكوفيين كالفراء وثعلب[32].

إن مجيء (أو) بمعنى الواو لم يتفق البصريون على عدم جوازه، فقد ذهب الأخفش[33] والجرمي[34] وابن هشام[35]، إلى جواز مجيئها بمعنى الواو، ومن ذلك قول جرير:

جاءَ الخلافةَ أَو كَانَتْ لَهُ قَدَرَا كَمَا أَتَى رَبَّهُ موسى عَلى قَدَرِ[36]

أي: جاء الخلافة وكانت له قدرا. حيث أفدت (أو) معنى الواو.

وخلاصة القول في ذلك أنَّ الزجاج لم يكن على صواب في إنكاره على الفراء مجيء (أو) بمعنى (بل).

عدم مجيء (إلا) للعطف

يجيز الفراء أن تكون (ما) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 1]. في موضع رفع على أن تكون (إلا) عاطفة حيث يقول: «وقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ في موضع نصب بالاستثناء، ويجوز الرفع كما يجوز: قام القوم إلا زيدا وإلا زيد. والمعنى فيه: إلا ما نبينه لكم من تحريم ما يَحْرُم وأنتم محرمون، أو في الحرم»[37].

31- الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، 478/2.

32- مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 4، 5، دار المعارف، (د. ت)، ص112.

33- معاني القرآن، الأخفش، ص115.

34- مغني اللبيب، ابن هشام، ص89.

35- المصدر نفسه، 98.

36- البيت من البسيط وهو في مدح عمر بن عبد العزيز، ورواية الديوان ص275، (نال الخلافة إذ كانت له قدرا) ولا شاهد فيه حينئذ، ينظر مغني اللبيب، ص 89.

37- معاني القرآن، الفراء، 205/1.

فالفراء يذكر وجه الرفع دون أن يوجهه إعرابيا، ولا يوجد دليل في كلامه أنه يريد به العطف فهو قد حدد موضعين تأتي فيهما إلا عاطفة، الأول: أن يكون المستثنى شيئا كبيرا مع مثله، أو ما هو أكبر، وقد أوضح ذلك في تعرضه لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ [النمل: 11] حيث يقول: «وقد قال بعض النحويين: إن (إلا) في اللغة بمنزلة الواو، وإنما معنى هذه الآية: لا يخاف لديّ المرسلون ولا من ظلم ثم بدّل حسنا. وجعلوا مثله قول الله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [البقرة: 150] أي ولا الذين ظلموا. ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا، لأني لا أُجيز قام الناس إلا عبد الله وهو قائم، إنما الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلا من معنى الأسماء قبل إلا. وقد أُراه جائزا أن تقول: عليك ألف سوي ألفٍ آخر، فإن وضعت (إلا) في هذا الموضع صَلَحَتْ وكانت (إلا) في تأويل ما قالوا. فأمَّا مجرَّدة قد استثني قليلها من كثيرها فلا. ولكن مثلُه ممَّا يكون في مَعْنَى إلا كمعنى وليسَت بها»[38].

وعلى هذا لا يصح ما نسبه ابن هشام إلى الفراء من أنه يرى أنَّ (إلا) في هاتين الآيتين تصلح للعطف[39] والحال كما رأينا، فالفراء يرفض أن تكون إلا في هاتين الآيتين للعطف.

أما الموضع الثاني الذي يجيز فيه الفراء أن تكون فيه إلا بمعنى الواو إذا عطفتها على استثناء قبلها كقولك لي على فلان ألف إلا عشرة إلا مائة.

ومنه قول الشاعر:

ما بِالمَدِينَةِ دَارٌ غَيرُ واحِدَةٍ دَارُ الخَلِيفَةِ إلا دَارُ مَروَانَا[40]

38- معاني القرآن، الفراء، 182/2.

39- مغني اللبيب، ابن هشام، ص89.

40- البيت من البسيط، ينظر الكتاب، سيبويه، 373/1. وقد نسبه سيبويه للفرزدق وهو ليس في ديوانه وينظر الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 519. والمقتضب، المبرد، 425/4. وتذكرة النحاة أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986 ص596

وقول عمرو بن معد يكرب:

وَكُـــلُّ أَخٍ مُفَارِقُـــهُ أَخُـــوهُ لَعَمْـــرُ أَبِيْـــكَ إِلا الفَرْقَـــدَانِ[41]

والشاهد فيه مجيء (إلا) بمعنى الواو. كأنه أراد ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة ودار مروان، ولعمر أبيك والفرقدان[42].

وقد خالف الزجاج الفراء في هذه المسألة حيث يرى أنه لا يجوز أن تكون (ما) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في موضع رفع، على أن تكون (إلا) عاطفة، حيث قال في ذلك: «وقال بعضهم يجوز أن تكون (ما) في موضع رفع على أنه يذهب إلى أنه يجوز جاء إخوتك إلا زيدٌ، وهذا عند البصريين باطل لأن المعنى عند هذا القائل: جاء إخوتك وزيد. كأنه يعطف بها كما يعطف بلا، ويجوز عند البصريين جاء الرجال إلا زيد على معنى جاء الرجال غيرُ زيد على أن تكون صفة للنكرة أو ما قارب النكرة من الأجناس»[43].

فكلام الزجاج بالنسبة إلى الفراء ليس صحيحا؛ لأن الفراء لا يرى هذه الآية من المواضع التي يصلح فيها (إلا) للعطف. ووجه الرفع في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ نقله القرطبي عن الفراء حيث أجاز أن يكون بدلا[44]، وقد ضعف هذا الوجه أبو حيّان؛ لأن الكلام الذي قبله موجب في حين أجاز أبو حيّان أن يكون الرفع فيه على أنه صفة لبهيمة[45].

معنى (ما)

ذكر الفراء أن (ما) في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ

41- البيت من الوافر، ينظر ديوان عمرو بن معد يكرب، (شعر عمرو بن معد يكرب، جمعه مطاع الطرابيشي مطبوعات مجلة اللغة العربية بدمشق، ط2، 1985، 178). ونسب إلى حضري بن عامر يُنظر الكتاب سيبويه 334/2.

42- الجنى الداني، المرادي، ص519.

43- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 141/2.

44- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 35/6-36.

45- يُنظر البحر المحيط، أبو حيَّان، 429/3-430.

﴿ٱلْقِتَالُ أَلَّا نُقَٰتِلَ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة: 246] جاءت بمعنى المنع، حيث يقول: «... وأما إذا قال (أن) فإنه مما ذهب إلى لمعنى الذي يحتمل دخول (أن)؛ ألا ترى أن قولك للرجل: ما لك لا تصلي في الجماعة؟ بمعنى ما يمنعك أن تصلِّي، فأدخلت (أن) في (ما لك) إذا وافق معناها معنى المنع. والدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: 12] وفي موضع آخر: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: 32] وقصة إبليس واحدة فقال فيه بلفظين ومعناهما واحد وإن اختلفا. ومثله ما حُمِل على معنى هو مخالف لصاحبه في اللفظ قول الشاعر:

يقول إذا اقْلَوْلَى عليها وأَقْرَدَتْ ألا هل أخو عيشٍ لذيذ بدائم[46]

فأدخل الباء في (هل) وهي استفهام، وإنما تدخل الباء في ما الجحد كقولك ما أنت بقائل. فلمَّا كانت النية في (هل) يراد بها الجحد أُدخلت لها الباء. ومثله قراءة عبد الله قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ [التوبة: 7]. ليس للمشركين»[47].

وقال الكسائي في إدخالهم (أَنْ) في (ما لَك): «هو بمنزلة قوله: (ما لكم في ألا تقاتلوا) ولو كان ذلك على ما قال لجاز في الكلام أن تقول: ما لك أنْ قمت، وما لك أنك قائم؛ لأنك تقول: في قيامك ماضيا ومستقبلا، وذلك غير جائز، لأن المنع إنما الاستقبال؛ تقول: منعتك أن تقوم ولا تقول منعتك أن قمتَ فلذلك جاءت في (ما لك) في المستقبل ولم تأتِ في دائم ولا ماض فذلك شاهد على اتفاق معنى ما لك وما منعك»[48].

وقد خالف الزجاج الفراء في مجيء (ما) بمعنى منع وذكر أن المعنى ليس ما يمنعنا، بل: وأي شيء لنا في ترك القتال حيث يقول: «زعم أبو الحسن الأخفش أنَّ (أنْ) ههنا زائدة قال: المعنى وما لنا لا نقاتل في سبيل الله، وقال غيره، وما لنا

46- ديوان الفرزدق
47- معاني القرآن، الفراء، 119/1.
48- المصدر نفسه، 119/1.

في ألا نقاتل في سبيل الله، وأسقط (في)، وقال بعض النحويين إنما دخلت (أن) لأنَّ (ما) معناه ما يمنعنا فلذلك دخلت (أن) لأن الكلام ما لك تفعل كذا وكذا والقول الصحيح عندي أنَّ أن لا تلغى ههنا، وأن المعنى وأي شيء لنا في أنْ لا نقاتل في سبيل الله، أي شيء لنا في ترك القتال»[49].

وهذا ما قال به ابن النحاس، حيث قال: «وقيل: المعنى وأي شيء لنا في ألا نقاتل في سبيل الله وهذا أجودها»[50]. وقال به العكبري حيث قال: «أي في ترك القتال»[51].

وقال ابن هشام: «قول بعضهم في ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 246]: إن الأصل وما لنا وأن لا نقاتل أي ما لنا وترك القتال كما تقول (ما لك وزيدا) ولم يثبت في العربية حذف واو المفعول معه»[52]. وقال بذلك أيضا أبو حيَّان[53].

وما ذكره الفراء عن الأخفش صحيح، فهو يرى جواز إلغاء أن وزيادتها، والزيادة لا تعني إلغاء الحرف من العمل، يقول الأخفش: «فـ(أنْ) ها هنا زائدة، كما زيدت بعد (فلمّا) و(لمّا) و(لو) فهي تزاد في هذا المعنى كثيرا، ومعناه: ما لنا لا نقاتل، فاعمل (أنْ) وهي زائدة، كما قال: ما أتاني من أحد، فاعمل (مِن) وهي زائدة، ومن ذلك قول الفرزدق:

لَو لَمْ تَكُنْ غَطَفَانُ لا ذُنُوبَ لَهَا إِلَيَّ لامَتْ ذَوُو أَحْسَبِهَا عُمَرا[54]

49- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 327/1.

50- إعراب القرآن، ابن النحاس، 122/1.

51- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، 196/1.

52- مغني اللبيب، ابن هشام، ص 708.

53- البحر المحيط، أبو حيّان، 264/2.

54- ديوان الفرزدق، (همام بن غالب) دار صادر، بيروت، (د. ت)، 230/1. وينظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 1989 30/4.

المعنى: لو لم تكن غطفانُ لها ذنوبٌ، و(لا) زائدة واعملها»[55].

حيث جاءت (لا) زائدة، والنكرة بعدها مبنية على الفتح، وعمل (لا) الزائدة شاذ، وأصل الكلام: لو لم تكن ذنوب لغطفان.

معنى الهمزة

الهمزة: عند القدماء «حرف مجهور من أقصى الحلق»[56]. أو هي حرف مجهور سَفل في الحلق وبَعُد عن الحرف، وحصل طرفا[57]، أو هي «حرف شديد، ومستفل من أقصى الحلق»[58]. وهي عند المحدثين صوت صامت حنجري انفجاري[59].

يرى الفراء أن معنى الهمزة في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۖ﴾ [آل عمران: 20] الأمر، حيث يقول: «وهو استفهام ومعناه أمر. ومثله قول الله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: 91] استفهام وتأويله: انتهوا. وكذلك قوله: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: 112] إنما هو مسألة أولا ترى أنك تقول للرجل هل أنت كاف عنا؟ معناه: اكفف، تقول للرجل: أين أين؟: أقِم ولا تبرح. فلذلك جوزي في الاستفهام كما جُوزي في الأمر»[60].

وقد خاف أبو إسحاق الزجاج الفراء في ذلك فهو يرى أنَّ معنى الهمزة استفهام معناه التوقف والتهديد فهو يقول في ذلك: «وقال بعض النحويين معنى أأسلمتم الأمر، ومعناه عندهم أسلموا وحقيقة هذا الكلام أنه لفظ استفهام معناه التوقف والتهديد كما تقول للرجل بعد أن تأمره وتؤكد عليه: أقبلت ... وإلا فأنت

55- معاني القرآن، الأخفش، تحقيق فائز فارس، ط2، 1981، 180/1.
56- الكتاب، سيبويه، 204/2.
57- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين، ط1، دار إحياء التراث القديم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1954، مصر، 78/1.
58- شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المثنى، القاهرة (د. ط. ت)، 107/9.
59- علم اللغة، محمود السعران، دار الفكر العربي، (د. ط)، 1992، ص157.
60- معاني القرن، الفراء، 144/1.

أعلم. فأنت إنما تسأله متوعدا في مسألتك، لعمري هذا دليل أنك تأمره بأن يفعل»[61]. فالهمزة عنده بمعنى التوقيف والتهديد، وليس الأمر كما يرى الفراء، وما قال به الفراء قال به كثير من النحويين، ومنهم العكبري الذي قال: «﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾: هو في معنى الأمر؛ أي أسلموا كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: 91] ؛ أي انتهوا»[62]. وذكر أبو حيان أن معنى الهمزة في قوله: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ الأمر حيث يقول: « تقدير في ضمن الأمر »[63].

وذكر ابن هشام أنّ معنى الهمزة في (أأسلمتم) الأمر في قوله: «قد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي فترد لثمانية معان: منها الأمر، نحو ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ أي أسلموا»[64].

وذكر السيوطي أن الهمزة ترد لمعان منها الأمر وذلك في قوله تعالى: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾، أي أسلموا[65].

يتضح من خلال العرض السابق أن كثيرا من النحاة وافقوا الفراء على مجيء الهمزة في قوله تعالى: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ بمعنى الأمر، وهذا دليل على صحة ورجاحة رأيه.

مجيء (لا) زائدة

لا الزائدة: هي الداخلة في الكلام لمجرد تقوية النفي وتوكيده، وتزاد في حشو الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]. وهي غير عاملة، ومعنى زيادتها إعطاؤها قوة وتوكيدا مع إمكانية فهم المراد من دونها.

61- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 390/1.
62- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، 249/1.
63- البحر المحيط، أبو حيان، 249/2.
64- مغني اللبيب، ابن هشام، ص27.
65- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرّم دار البحوث العلمية الكويت 1979. 483/2.

ذهب الفراء إلى جواز مجيء (لا) زائدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 109]. حيث يقول: «فسألوا رسول الله ﷺ أن ينزلها وحلفوا ليؤمنن، فقال المؤمنون يا رسول الله سل ربك ينزلها عليهم حتّى يؤمنوا، فأنزل الله تبارك وتعالى: قل للذين آمنوا: وما يشعركم أنهم يؤمنون. فهذا وجه النصب في أن، وما يشعركم أنهم يؤمنون (وَ) نحن ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ [الأنعام: 110] وقرأ بعضهم: (إنها) مكسور الألف ﴿إِذَا جَآءَتْ﴾ مستأنفة، ويجعل قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ كلاما مكتفيا. وهي في قراءة عبد الله[66] (وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِذَا جَاءَتْهم أنهم لاَ يُؤْمِنُونَ). ولا في هذا الموضع صلة؛ كقوله: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 95]. المعنى: حرام عليهم أن يرجعوا. ومثله ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12]. معناه: أن تسجد وهي في قراءة أبي[67] (لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون) وللعرب في (لعل) لغة في أن يقولوا: ما أدري أنك صاحبها يريدون: لعلك صاحبها ويقولون: ما أدري لو أنك صاحبها، وهو وجه جيد أن تجعل (أن) في موضع لعل»[68].

خالف الزجاج الفراء في مجيء (لا) زائدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 109]. حيث قال: «وزعم سيبويه عن الخليل أن معناها لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، وهي قراءة أهل المدينة وقال الخليل: إنها كقولهم إيت السوق أنَّك تشتري شيئا، أي لعلك. وقد قال بعضهم إنها (أنَّ) التي على أصل الباب، وجعل (لا) لغوا، قال: والمعنى وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون كما قال عزَّ وجل: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 95]. والقول الأول

66- هو عبد الله بن مسعود بن الحارث بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم أبو عبد الرحمن الهذلي المكي أحد السابقين والعلماء الكبار من الصحابة، عرض القرآن على النبي ﷺ توفي سنة 32 هـ ينظر غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، تحقيق: برجستراسر، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982 458/1.

67- هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك أبو المنذر الأنصاري المدني سيد القراء وأقرأ هذه الأمة، قرأ القرآن على النبي ﷺ وقرأ عليه النبي ﷺ القرآن للإرشاد والتعلم. ينظر غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، 31/1.

68- معاني القرآن، الفراء، 237/1.

أقوى وأجود في العربية والكسر أحسنها وأجودها. والذي ذكر أن (لا) لغو غَالِطٌ، لأن ما كان لغوا لا يكون غير لغو. ومن قرأ (إنها إذا جاءت) -بكسر إن- فالإجماع أن (لا) ير لغو، فليس يجوز أن يكون معنى لفظة مرة النفي ومرة الإيجاب وقد أجمعوا أن معنى أن ههنا إذا فتحت معنى لعل، والإجماع أولى بالإتباع. وقد بينت الحجة في دفع ما قاله من زعم أن لا لغو»[69].

ويرى الأخفش أن من قرأ بفتح همزة ﴿أَنَّهَا﴾ فعلى معنى (لعلَّها)، واستشهد بقول الشاعر:

قلتُ لِشيبَانَ: ادْنُ من لِقائِهِ أَنَّا نُعَدِّي القوم مِن شِوائِهِ[70]

في معنى: لَعَلَّنَا[71].

ومن قال بزيادة (إلا) المرادي[72]، وهو في كلام العرب كثير (أن) بمعنى لعل. وحكى الكسائي أنه كذلك في مصحف أبي بن كعب وما أدراكم لعلها.

ومن ضعَّف زيادتها، رأى إنما تزاد فيما لا يشكل. وقيل: في الكلام حذف، والمعنى: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون، ثم حذف هذا لعلم السامع، ذكر ذلك النحاس[73].

وقراءة الفتح ﴿أَنَّهَا﴾ قرأ بها نافع، وعاصم في رواية حفص، وحمزة، والكسائي، وابن عامر[74] والقراءة سنة متبعة لا يجوز مخالفتها، أو ترجيح قراءة أخرى عليها.

إن اللجوء إلى التأويل النحوي يؤكد المعنى، إذ من دونه يكون عذرا للكفار

69- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 2/282-283.

70- معاني القرآن، الأخفش، 2/286.

71- البيت من الرجز وهو لأبي النجم العجلي، وهو من شواهد سيبويه، 3/116.

72- الجنى الداني، المرادي، ص303.

73- إعراب القرآن، أبو جعفر ابن النحاس، 2/65.

74- كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: جمال الدين محمد شرف. ط1، دار الصحابة للتراث طنطا مصر، 2007، ص 201.

بعدم إيمانهم ويؤكد هذا قول الخليل نفسه حين سأله سيبويه عن قراءة الفتح فقال: «ما منع أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا تفعل؟ فقال: لا يحسن ذلك في هذا الموضع، إنما قال: وما يشعركم ثم ابتدأ فاوجب فقال: إنها إذا جاءت لا يؤمنون، ولو فتح فقال: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون لكان عذرا لهم»[75].

ويتضح من ذلك أن قول الفراء بزيادة (إلا) يستقيم فيه المعنى، وهو ما ذهب إليه الهروي الذي قال: «المعنى: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، و(لا) زائدة. ومن قرأها بكسر (إن) فإنه يجعل الكلام تاما عند قوله: (وما يشعركم) ثم يبتديء: إنها إذا جاءت لا يؤمنون، وتكون (جحدا)»[76]. وذهب إلى ذلك أيضا العكبري[77]، وأبو حيّان[78]، وابن هشام[79].

والفراء لا يقول بزيادة (لا) مطلقا، بل يشترط لزيادتها أن يكون نفي غير مصرح به في أول الكلام أو في آخره[80]. نحو قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: 29] وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: 12]. وقوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 95].

نداء اللّهم (الجمع بين يا وأل)

إذا أُريد نداء اسم فيه أل توصل إليه بلفظ (أي) للمذكر وأيّة للمؤنث، متصلا بها هاء التنبيه بعد حرف النداء وقبل الاسم المنادى، أو أتى قبله باسم إشارة مناسب، أو بهما معا. ولا يجمع بين أل وحرف النداء إلا في اسم الجلالة (الله) فيقال (يا الله)، والأكثر معه حذف حرف النداء والتعويض عنه بميم مشددة، فيقال

75- الكتاب، سيبويه، 123/3.
76- كتاب الأزهية في علم الحروف، الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، 1981، ص151-152.
77- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، 530/1-531.
78- البحر المحيط، 203/4.
79- مغني اللبيب، ص 212.
80- معاني القرآن، الفراء، 137/3

اللّهم، ولا يُقال: يا اللّهم، إذ لا يُجمع بين العوض والمعوض عنه وكذلك لا يجمع بين أل وحرف النداء في اسم الجنس المشبه به الاسم المنادى المحذوف ومسمّى الجمل إلا لضرورة شعرية.

يقول الفراء في (اللهم): « (اللَّهُمَّ) كلمة تنصبها العرب. وقد قال بعض النحويين: إنما نصبت إذ زيدت فيها ميمان لأنها لا تنادي بياء، كما تقول: يا زيد، ويا عبد الله، فجعلت الميم فيها خلفا من يا. وقد أنشدني بعضهم:

وما عليكِ أن تقولي كلّما صَلَّيت أو سبَّحْتِ يا اللَّهم ما

أُ رُدُدْ علينا شيخنا مسلّما »[81].

ويرى الفراء أن العرب لم تزد هذه الميم في نواقص الأسماء إلا مخففة، مثل الفم وابنم وهم، وقال الفراء فيها: « ونرى أنها كانت كلمة ضمّ إليها، أُمّ، تريد: يا الله أُمّنا بخير، فكثرت في الكلام فاختلطت »[82].

وقد خالف الزجاج الفراء في جواز دخول يا على (اللّهم) دون أن يذكر اسمه أو يكنّي عنه وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: 26]. حيث قال الزجاج: « فأما إعراب ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ فضمّ الهاء وفتح الميم لا اختلاف في اللفظ به بين النحويين فأمّا العلة فقد اختلف فيها النحويون فقال بعضهم: معنى الكلام يا الله أم بخير، وهذا إقدام عظيم لأن كل ما كان من هذا الهمز الذي طرح فأكثر الكلام الإتيان به، يقل ويل أُمه، وويلُ أُمِّه والأكثر إثبات الهمزة، ولو كان كما يقول لجاز أومم، والله أُمّ، وكان يجب أن تلزمه ياء النداء لأن العرب تقول يا الله أغفر لنا ولم يقل أحد من العرب إلا اللهمّ ولم يقل أحد يا

81- معاني القرآن، الفراء، 145/1. الأبيات بلا نسبة وهو من الرجز المشطور، ينظر لسان العرب ابن منظور، 470/13، مادة (ألـه)، وينظر الإنصاف، الأنباري، 342/1. ورصف المباني في شرح حروف المعاني المالقي، تحقيق: محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د. ت)، ص306.

82- معاني القرآن، الفراء، 145/1

اللهمّ »[83].

وينكر الزجاج أن تكون الضمة التي في الهاء هي ضمة الهمزة التي كانت في أم، ويرى أنه من المُحال ترك الضم الذي هو دليل على النداء للمفرد. وأن يجعل في الله ضمّة (أم). ويعدّ ذلك إلحادا في اسم الله عزّ وجلّ[84].

ويرى أن ما استشهد به الفراء غير صحيح؛ لأنه يعارض الإجماع، وما أتى به كتاب الله عزّ وجلّ وجميع ديوان العرب، وأنّ الفراء استشهد ببيت مجهول القائل.

يتضح مما سبق أن الزجاج كان قاسيا في رده على الفراء ومتحاملا عليه ومتعصبا لمذهبه البصري الذي لا يُجيز دخول (يا) على اللّهُمّ، وهو رأي الخليل وسيبويه وقد صرح الزجاج بذلك[85]. وما قاله الفراء ضعيف عند العكبري[86]، ولا يجوز عند ابن النحاس[87]. وهذه المسألة من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، وقد ذكرها أبو البركات الأنباري وقد ضعَّف مذهب الكوفيين[88].

وقد يقول قائل إن هذه المسألة قد اُستُدِلَّ على جوازها بكلام العرب، وهو البيت الذي استشهد به الفراء، وهذا غير صحيح، لأن هذا البيت مجهول القائل، وهو ضرورة شعرية. وجمهور النحاة لا يجيزون الجمع بين حرف النداء (يا) و(اللهمّ).

معنى أَنْ

أَنْ بفتح الهمزة وسكون النون تأتي على عدّة أقسام هي: حرف نصب ومصدري واستقبال ينصب الفعل المضارع ويعيّن وقوعه في زمن الاستقبال، وتؤول هي والفعل بمصدر، يكون محلّه من الإعراب بحسب مقتضى الكلام.

83- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 393/1.
84- المصدر نفسه، 293/2.
85- المصدر نفسه، 293/2.
86- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، 250/1.
87- إعراب القرآن، ابن النحاس، 150/1.
88- الإنصاف في مسائل الخلاف، 344/1.

وتأتي مخففة من الثقيلة، ومفسّرة، وزائدة، وشرطية تفيد المجازاة، ونافية بمعنى لا، وبمعنى لئلا، وبمعنى إذ، وجازمة.

وقد ذكر الفراء أن (أَنْ) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 73] بمعنى (لا)، ويرى أنَّ أنْ وصلتها إذا وقعت موقع المصدر قد تفيد النفي ويكون معناها (لا)، وبذلك يُجيز الفراء حذف (لا) لوضوح الدلالة عليها، وذلك في قوله «وجاءت (أن) لأن في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ﴾ مثل قوله: إنّ البيان بيان الله، فقد بيّن أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتي أهل الإسلام. وصلحت (أحد) لأن معنى (أنْ) معنى (لا) كما قال تبارك وتعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: 176]. معناه: لا تضلون. وقال تبارك وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الشعراء: 200-201]. أنْ تصلح في موضع لا»[89].

وقد خالف الزجاج الفراء في ذلك دون أن يذكر اسمه حيث يقول في معنى الآية: «أي الهدى هو هذا الهدى، لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. قال بعض النحويين معنى: (أنْ) ههنا معنى (لا) وإنما المعنى أن لا يؤتى أحد مثل ما أتيتم، أي (لأن) لا يؤتى فحذف (لا) في الكلام دليلا عليها كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾، أي لئلا تضلّلوا»[90].

وقد استأنس برأي المبرد في أنّ (لا) ليست مما يحذف ههنا بل هي على تقدير مضاف محذوف والمعنى عنده: «يبين الله لكم كراهة أن تضلوا، أي أن الهدى هدى الله كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم»[91].

وهو ما ذهب إليه الزمخشري في قوله: «أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم»[92]. وهو ما ذهب إليه أبو البقاء

89- معاني القرآن، الفراء، 157/1.
90- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 430/1-431.
91- المصدر نفسه، 431/1.
92- الكشاف، الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1977، 437/1.

العكبري[93]. وأبو جعفر ابن النحاس[94]. وأبو حيان[95].

ويتضح من ذلك أن التقدير عند الزجاج والبصريين في هذه الآية هو: كراهة أن يؤتى أحد وهذا راجع إلى أن البصريين يرون أن حذف المضاف أكثر من حذف (لا) وعند الفراء والكوفيين التقدير هو: لئلا فأضمرت (لا) للدلالة عليه

على بمعنى في

على حرف جرّ يجر الاسم الظاهر، وله عدة معان هي: الاستعلاء، والمصاحبة، والظرفية بمعنى في، والمجاوزة بمعنى عن، والتعليل بمعنى اللام، وبمعنى مِنْ، وبمعنى الباء، وبمعنى عند، وبمعنى لكن الدالة على الاستدراك ولا تتعلق بما قبلها، وزائدة خلافا لسيبويه، وتأتي اسما بمعنى فوق إذا دخلت عليها من الجارّة، لأن حرف الجرّ لا يدخل على حرف جرّ مثله[96].

يرى الفراء أن على جاءت بمعنى (في) في قوله تعالى: ﴿فَعَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ [المائدة: 107]. والتقدير: استحق فيهم. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: 102]. أي في ملك سليمان وقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه: 71]. أي على جذوع النخل[97].

وقد أشار الزجاج إلى هذه المسألة دون أن يذكر اسم الفراء بقوله «وقال بعضهم معنى على ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ كما قال: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١

93- التبيان في إعراب القرآن، 271/1.
94- إعراب القرآن، 165/1.
95- البحر المحيط، أبو حيّان، 518/2.
96- يُنظر المعجم الوافي في النحو العربي، علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، الدر الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ودار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1992، ص203-205.
97- معاني القرآن، الفراء، 221/1.

ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: 1-2] أي إذا اكتالوا من الناس»[98].

ويتضح من ذلك أن الزجاج يرى أن في بمعنى على، لكنه أجاز أن تقع في بمعنى على، لأنه في الجذع على جهة الطول، والجذع مشتمل عليه فقد صار فيه، واستنشد بقول الشاعر:

همو صلبوا العبديّ في جذعِ نَخْلَةٍ فلا عطَسَتْ شَيبان إلا بأجدعَا[99]

حيث جاءت (في) بمعنى (على). وهو ما ذهب إليه الهروي[100] وأبو جعفر ابن النحاس[101] وأبو البقاء العكبري[102].

(غير) في معنى (إلا)

غير كلمة تدل على المغايرة، وعلى مخالفة ما بعدها لحقيقة ما قبلها أو لوصف عارض له[103] وتأتي غير اسما بمعنى إلا في الدلالة على الاستثناء، والمستثنى بها مجرور دائما، وهي تعرب إعراب الاسم الواقع بعد إلا وهي كلمة موغلة في الإبهام، فلا يتضح معناها إلا بما يُضاف إليها أو بما يعتورها من كلام قد يفيدها التخصيص أو التخفيف من إبهامها، ولا تُعَّرف، إنما يلحق التعريف المضاف إليه.

يرى الفراء أن (غير) تكون منصوبة دائما إذا جاءت في معنى (إلا) سواء تمّ

98- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 217/2.

99- البيت من الطويل، وهو لسويد بن أبي كاهل اليشكري، صاحب العينية التي كانت في الجاهلية تسمى اليتيمة. ينظر الأزهية في علم الحروف، الهروي، ص 268، وشرح شواهد المغني، السيوطي، 479/1. ولامرأة من العرب في شرح المفصّل، ابن يعيش الحلبي، 21/8. وبلا نسبة في رصف المباني، المالقي ص389. ومغني اللبيب، ابن هشام، ص224. والمقتضب، المبرد، 319/2.

100- الأزهية في علم الحروف، الهروي، ص 268

101- إعراب القرآن، 287/1.

102- التبيان في إعراب القرآن، 469/1.

103- مثل: الثرى غير الثريا، فالثرى يخالف الثريا في حقيقته، ونحو: بعد أن عاتبته قابلني بوجه غير الذي أعرفه فحقيقة الوجه لم تتغير، وإنما الذي تغير صفته من البشاشة إلى العبوس.

الكلام قبلها أم لم يتمّ وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]. وذلك لسماعه عن بعض العرب، وفي ذلك يقول: «وبعض بني أسد وقضاعة إذا كانت (غير) في معنى (إلا) نصبوها، تمَّ الكلام قبلها أو لم يتمّ فيقولون: ما جاءني غيرَكَ، وما أتاني أحد غيرَك. قال: وأنشدني المفضّل:

لم يمنع الشّربَ منها غير أن هتفت حمامة من سَحُوقٍ ذاتِ أوقالِ[104]

فهذا نصب وله الفعل والكلام ناقص. وقال الآخر:

لا عيب فيها غيرَ شُهْلَةِ عَينِهَا كذاك عِتَاق الطَّيْرِ شُهْلا عيونُها[105]

فهذا نصب والكلام تام قبله»[106].

إن الفراء والزجاج كليهما يرى أن (غير) نعت لإله، ومن قرأها بالرفع (غيرُ) فالمعنى: ما لكم إله غَيْرُهُ ودخلت (مِنْ) مؤكِّدةً[107]، ولكنَّ الفراء أجاز فيها النصب، وقد خالف الزجاج من قال بنصبها وهو الفراء وقال في ذلك «وأجاز بعضهم النصب في غَير وهو جائز في غير القرآن، على النصب على الاستثناء وعلى الحال من النكرة، ولا يجوز في القرآن؛ لأنه لم يُقرأ به، أجاز الفراء. ما جاءني غَيْرَكَ بنصب غير، وهذا خطأ بيِّن إنما أنشد الخليل بيتا أجاز فيه نصب غير، فاستشهد هو بذلك البيت واستهواه اللفظ في قولهما إنَّ الموضع موضع رفع. وإنَّما أُضيفت غير في البيت إلى شيء غير متمكن فبنيت على الفتح كما يبنى يوم إذا أُضيف إلى إذ على الفتح. والبيت قول الشاعر:

104- البيت من البسيط، وهو لأبي قيس بن الأسلت في ديوانه ص85، وخزانة الأدب، عبد القادر البغدادي 406/3، وشرح شواهد المغني، السيوطي، 458/1. وشرح المفصّل، ابن يعيش، 81/3، 135/8.

105- البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في لسان العرب، (غير)، (شكل)، (شهل). وتاج العروس، (شكل).

106- معاني القرآن، الفراء، 257.

107- المصدر نفسه، 256/1، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 348/2.

لم يمنع الشّربَ منها غير أن هتفت حمامة في غصون ذاتِ أوقالِ[108]

وأكثرهم ينشده غيرَ أن نطقت، فلمّا أضاف غير إلى (أنْ) فتح غير، ولو قلت: ما جاء في غيرَك لم يجُزْ. ولو جاز هذا لجاز ما جاءني زيدا»[109].

يتضح من ذلك أن الزجاج يعلل نصب غير لإضافته إلى اسم غير متمكن، وهو بذلك يعتبرها مبنية وليست منصوبة على معنى (إلا) كما قال الفراء. و(غير) أُضيفت إلى (أنْ)، وهو مبني والضمير اسم غير متمكن، بل إنَّ (أنْ) والمصدر المنسبك معه أبعد من التمكن، فالمضاف إليه هو المصدر –وهو غير مبني– وقد أجاز كلٌّ من الخليل وسيبويه نصب غير، وفي ذلك يقول سيبويه: «وزعموا أن ناسا من العرب ينصبون هذا الذي في موضع الرفع، فقال الخليل رحمه الله: هذا كنصب بعضهم (يومئذ) في كلِّ موضع فكذلك (غيْرَ أن نطقَتْ)»[110]. وذكر أبو حيّان أن قراءة النصب هي قراءة عيسى بن عمر على الاستثناء، ويرى أن الرفع والجر أفصح[111].

إن مخالفة الزجاج للفراء في هذه المسألة هي عين الصواب، لأن هذا لا يجوز إلا في الضرورة الشعرية ولا يجوز في كتاب الله عز وجلّ، وأن قراءة عيسى بن عمر قراءة شاذة. وأن ما قاله سيبويه لا يؤيد ما قاله الفراء، فهو يذكر قولا عن أناس من العرب يقول فيه (وزعموا أن ناسا) وزعم من الأفعال الدالة على عدم اليقين، وهي تفيد الشكّ.

108- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 349/2.
109- المصدر نفسه، 348/2.
110- الكتاب، سيبويه، 322/3
111- البحر المحيط، أبو حيّان، 324/4.